مفهوم الاسطورة والخرافة بالفكر الإسلامي

الأستاذ المساعد الدكتور
حسن طاهر ملحم
milhim.h200@iunajaf.edu.iq
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف

The Concept of Myth in Islamic Thought

Assistant Professor Dr.
Hassan Taher Milhim
Islamic University in Najaf

الملخص:

تعتبر الأساطير منذ القدم كنزاً من كنوز الإنسانية فمضمونها شهادة على ماضي البشر وإدراكهم للعالم وتصورهم إياه. فهي صورة وعي في المخيال الجمعي. أما من حيث الصيغة فهي شكل من أشكال التعبير ونسيج ولد من خلال الفكر والخيال والوجدان. فهي نشاط بشري في ضروب من الخطاب متنوعة دخلت في خبر التأريخ والدين والأخلاق والسياسة والآيدلوجيات والأدب.

كل هذه الفنون دخلتها الأسطورة بواسطة عمادها المتمثل (بالرمز).

من هذا يمكن القول أن الأساطير لا تعد عبارات شنيعة أو منكرة رغم ما صدر عن أقوال (أساطير الأولين) ، والتي ورد في القرآن عدة مرات أو الفكر الأسطوري، بل هي نمطٌ من أنماط التعبير والتفكير بكل عناية، رغم أن الفكر الأسطوري تبدو عليه بقايا خلايا مترسبة تظهر في العادات والتقاليد والممارسات اليومية.

من هنا يتضح أن جميع المدارس المعاصرة على إختلافاتها تجمع على أهمية الأساطير لإتصالها بالوظيفة الرمزية.

فالإنسان يبحث دائماً عن رموز وأنظمة تكشف واقعه المحض وعقله المحض أيضاً، لذا نراه يتوق إلى الأبدية بل إلى آفاق أخرى غير التي يقع عليها أو يحسها ويدركها أمام عينيه، فلذا كان نزوعه أن يصنع عالماً معبراً عنه جديداً يتجاوز به طموحه كل يوم.

استمرت الاسطورة والخرافة سائدة في الفكر عموماً والفكر الاسلامي خصوصا الى يومنا هذا. واتخذ منها الناس عرفا اجتماعيا لما لها من قوة واستفاد منها بعض رجال الدين وغيرهم .

الكلمات المفتاحية: الخرافة، الاسطورة، الدين، الجاهلية، الإسلام.

Abstract:-

Myths have been a treasure of humanity since ancient times, serving as a testament to human perceptions of the world and consciousness. They are a form of expression born through thought, imagination, and conscience, and have been incorporated into various fields such as history, religion, ethics, politics, ideologies, and literature. Despite their historical significance, myths are not considered heinous or reprehensible expressions. They are a pattern of expression and thinking with great care, with remnants of sediment cells appearing in customs, traditions, and daily practices. Contemporary schools agree on the importance of myths due to their connection to the symbolic function. Man's longing for symbols and systems that reveal his pure reality and mind led to the creation of a new expressive world. Myth and superstition continue to prevail in Islamic thought, benefiting religious individuals and others.

Keywords: myth, legend, religion, pre-Islamic times, Islam.

المقدمة

تعتبر الأساطير منذ القدم كنزاً من كنوز الإنسانية فمضمونها شهادة على ماضي البشر وإدراكهم للعالم وتصورهم إياه. فهي صورة وعي في المخيال الجمعي. أما من حيث الصيغة فهي شكل من أشكال التعبير ونسيج ولد من خلال الفكر والخيال والوجدان. فهي نشاط بشري في ضروب من الخطاب متنوعة دخلت في خبر التأريخ والدين والأخلاق والسياسة والآيدلوجيات والأدب.

كل هذه الفنون دخلتها الأسطورة بواسطة عمادها المتمثل (بالرمز).

من هذا يمكن القول أن الأساطير لا تعد عبارات شنيعة أو منكرة رغم ما صدر عن أقوال (أساطير الأولين) ، والتي ورد في القرآن عدة مرات أو الفكر الأُسطوري، بل هي نمطٌ من أنماط التعبير والتفكير بكل عناية، رغم أن الفكر الأسطوري تبدو عليه بقايا خلايا مترسبة تظهر في العادات والتقاليد والممارسات اليومية.

من هنا يتضح أن جميع المدارس المعاصرة على إختلافاتها تجمع على أهمية الأساطير لإتصالها بالوظيفة الرمزية.

فالإنسان يبحث دائماً عن رموز وأنظمة تكشف واقعه المحض وعقله المحض أيضاً، لذا نراه يتوق إلى الأبدية بل إلى آفاق أخرى غير التي يقع عليها أو يحسها ويدركها أمام عينيه، فلذا كان نزوعه أن يصنع عالماً معبراً عنه جديداً يتجاوز به طموحه كل يوم.

والأساطير قديماً وحديثاً هي ظواهر ثقافية في أي مجتمع، وقد ولى ذلك العهد كما يحلو للبعض في الدفاع عنها بأنها أوهام وأباطيل ولذلك نجدهم قد عنوا بها في أوروبا منذ القرون الوسطى وهذا لا يعني أن الأساطير لم يدخل الباطل والأوهام إليها رغم أننا نتفق مع جل الدارسين أنها تحوي مجالات حضارية لكونها نتاج الخيال البشري الخلاق. فهي عندهم (عين الحقيقة) ولكنّ هذه العين درجت في باب الأساطير (الحقيقة) لكثرة ما أضيف إليها من شوائب فما أدراك ما ملحمة كلكامش مثلاً... لذا أصبحت الأساطير رغم وجود الأباطيل فيها مصدراً من مصادر القيم المعرفية من خلال صناعتها الجماعية وليست الفردية.

فدراسة مجتمع ما أو المجتمع العربي الذي نحن بصدد دراسته، كانت مادة الأسطورة

عن الجاهلية توفر لنا الكثير من الفوائد العلمية عن حياة العرب قبل الإسلام والتي إمتدت لتدخل عالم الإسلام نفسه، وكونت لنفسها شكلاً من الوعي الجديد فهي: إستمرار لماضٍ سابق إستمر ليكون له مرونة مكتوبة عن ماضٍ وحاضر الإسلام.

فدراسة حالة المجتمع العربي قبل الإسلام جاءت من خلال دراسة واقعه الديني والإجتماعي. فالأديان السائدة مثل اليهودية والمسيحية وصلت إلينا أكثر نصوصها عن طريق الأسطورة. وحالة العرب من عبادة الأوثان والطواطم وملابسات عالم الجن والكهانة ما هي إلاّ تاريخ لفترة سابقة للإسلام، وعلى ما تقدم يجب الاهتمام بالأساطير التي وصلتنا للفترة المسماة بالجاهلية وأصح القول "**فترة قبل الإسلام**" ودراستها وبيان دلالاتها من خلال المدونات الإسلامية عموماً.

ومن المؤكد تأريخياً أن جذور الأسطورة والخرافة رغم إنتقال العرب من الإحيائية المتمثلة بتقديس مظاهر الطبيعة إلى عبادة الطوطمية والأوثان ثم إلى ديانة التوحيد.

بقيت بعض الجوانب حية وإستثمرت في تصانيف بعض المدونات الإسلامية ودخلت حيز جميع الفضاءات العقائدية في صورة الكون وصورة السماء والأرض وصورة الجنة والنار. والثقافية مثل كتب الحديث والسير والتأريخ وكونت لها موقعاً رُسم في عقول المسلمين عامة إلى يومنا هذا.

تمهيد: تعريفات الأسطورة والخرافة:

موقف الإسلام من الأسطورة:

من البديهي أن أغلالاً وقيوداً قيدت كل مجتمع أينما وجد تمنع حريته وتفكيره ونحن هنا نتكلم عن حالة العرب والمسلمين عامة. فعندما جاء الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وظاهر الآية أن النبي ﷺ قد أزال عنهم ما كان يثقل كاهلهم وكسر الأغلال والسلاسل التي كانوا قد أسروا بها أنفسهم من خلال تقاليد وعادات وخرافات وأساطير عمياء ورثوها عن آباءهم التي شلت عقولهم وأفكارهم.

فالأغلال والسلاسل التي قيدوا بها أفكارهم هي أقسى من السلاسل التي يقيد بها الأسير أو السجين. فسلامة العقل عند الأسير والسجين المقيد لا تشوبه شائبة مادام عاقلاً فهو يدرك أن سلاسله سوف تُحطم عنه ذات يوم ويكون حراً وفكره حراً، أما المقيد بالخرافات والأساطير فهو محطم فكرياً وعقلياً ما دام فكره قد أسرتُه أوهام الجهل والخرافة فهو كالباني قصوراً في الهواء أو من الرمال لا يزيده جهده إلاّ رهقاً.

الأسطورة لغة وإصطلاحاً:

كما هو معلوم لم ترد كلمة الأسطورة في القرآن الكريم بصيغة المفرد بل جاءت بصيغة الجمع ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٢] وهي مشتقة من سطر المفعول منها (مسطور) ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٣] والسطر يعني الصف (الصف من الكتاب والشجر والنخل)[٤].

وتأتي بمعنى أخبار كما في اللاتينية في ايسطوريا (Historia) أي التأريخ عن الماضي. لذا ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى أي تأريخ أو أخبار الماضين. أما عند قريش (كفار قريش) تلك الأخبار من الأوهام والأباطيل. فهي حقيقة عند المسلمين وأساطير عند أهل مكة وتجارها فالأساطير في نظر قريش ما وجد في القرآن ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾[٥] والبناء هنا الخبر والبناء ورد في القرآن بأكثر من موضع وهو في اللغة والمفهوم أعم من جميع ما ذكرناه. وهو أخبار عن الأنبياء وأقوامهم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾[٦].

وهنا يجب أن نفرق بين الأساطير والأخبار والنبأ القرآني الذي آمن به المسلمون وبين الأساطير التي حاكها اليهود والنصارى بعد دخولهم الإسلام وضربه أو هدمه من الداخل، وهنا يتبين الأمر بتغير صيغة الأسطورة الفعلية ذات الخبر الصحيح إلى خبر آخر. أضيف إليه أو شوه رسمه ومعالمه من خلال التحريف والإبتعاد عن الواقع. فكانت صناعته جديدة سميت بالخرافة إستوت بالكاد مع الأسطورة وإندمجت معها في بودقة واحدة تعرف في معاجم اللغة بالحديث المتسلح من الكذب[٧] ولنا فيه تفصيل آخر.

ومن هنا تظهر معالم جديدة ووشائج عميقة بين الأسطورة والخرافة والنبأ والخبر والقصص لإشتراكها في نواة معينة جامعة لتجعل من ذلك إخراج تعريف شامل وهو الكلام المخبر بشؤون الماضين وسيرهم وأخبارهم في زمان ومكان وانقرض[٨].

ويمكن إضافة القول في تعريف الأسطورة عند العرب إنطلاقاً من معناها الإشتقاقي في نبأ خبر وقصص يمكن أن يطلق عليها نعت السردية، لأنها قد تلامس بعض الأخبار الواردة في كتب السيرة والتأريخ.

الخرافة لغةً:-

الخرافة عند علماء اللغة مشتقة من مادة (خ ر ف)[٩] ومعناها فساد العقل من الكبر أما خرافةٌ فإسم علم وقد ورد في سياقات عديد منها أحاديث خرافة ويقال خرافة إسم لرجل من قبيلة (عذرة) إستهوته الجن. فكان يحدث قومه بما يرى، ولكن كلامه كان لا يستقبل بالرضا والقبول. بل كانوا يكذبونه ويقولون (هذا حديث خرافة) وهي حديث مستسلح كذب[١٠] وقد نقل ابن الأثير والجاحظ حديث منسوب إلى النبي ﷺ قال: ((خرافة حق)) بمعنى أن الخرافة لا تكون دائماً حديثاً كذباً.

وكتب العلاّمة الطباطبائي معرّفاً الخرافة: ((إن الإعتقاد بالأشياء التي لم يتوصل العلم إلى حقيقتها وماهيتها ولم يثبت صحتها، ولم يعرف أخير هي أم شر، خرافة محضة))[١١].

ومنها البيت المنسوب إلى ديك الجن والذي ينسب أو يعزى إلى ابن الزبعري:

حيـــــاة ثم مـــــوت ثم حشـــــر حـــــديث خرافـــــة يـــــا أم عمـــــرو

أما ابن قتيبة فينسبه إلى أبي نواس[١٢] والخرافة عند الجاحظ:

بمعنى الهذر والسخف والكذب والباطل المنافي للجد والحقيقة[١٣].

لذا نراه يصف (كتب الزنادقة) بأنها خرافة وسخرية.

الخرافة اصطلاحاً:

الخرافة خطاب باطل لا أساس له وهي نوع من أنواع الحكايات تروى في ليالي السحر ليلاً سنفصل القول فيه لاحقاً ونبين فيه موقف الإسلام في مواجهة الخرافة.

الفرق بين الأسطورة والخرافة:

الأساطير في نظر أصحابها هي عين الحقيقة أما في نظر الآخرين فلا تؤخذ مأخذ الجد بل هي عين الوهم والباطل والمحال.

أما الخرافة، فتتميز وتختلف عن الأسطورة بأنها محل إعتقاد من أي كان[١٤] ويمكن التساؤل عن بعض الأساطير التي أصبحت خرافات فيما بعد لغطائها بالأكاذيب والوهم والخيال.

كتاب الحيوان للجاحظ يعرض الكير من الخرافات عند أعراب الجاهلية وهو يستعمل كلمة خرافة بشأن تنافر الشياطين وتساند العفاريت[١٥].

ويمكن القول أن بعض الأساطير قد نالها الخطاب المقدس ومعنى نبيل ولكن الخرافة وهم وباطل لا قدسية لها.

وقد تستند الأسطورة كما بيناها إلى أسس تأريخية لشعب ما. ولكن الخرافة يمكن أن تكون خيال شاعر أو أديب يمكن أن تستهوى بالقصص الشعبي الذي كان أقل إنتشاراً من الخرافات.

المبحث الأول

اسطورة البوم

إن ما يميز الأسطورة عن الخرافة كون من يرويها ومن ينصت إليها محض من الخيال أو الأوهام أو من الأباطيل التي يدونها أصحاب كتب الامتاع والمؤانسة. أما الأسطورة فهي خطاب جد ومحل إعتقاد عند الكثير من المجتمعات الإنسانية. فنحن نرى أسطورة (طير البوم) القريبة إلى الخرافة تستهوي الكثير من البشر المسلم وخاصةً البعض من الطائفة الشيعية المولع والعاشق والمعتقد بحب الحسين عليه السلام لكونه إماماً شهيداً ضحّى بحياته من أجل رفعة الإسلام وتجديدهُ تحاك الخرافة حول طير البوم الذي كان حيواناً أليفاً يأكل مع البشر ولكنه بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام هجر الناس إلى الخرائب.

تحت عنوان هل تعلم لماذا ينعزل البوم عن البشر (موقع منتدى الكفيل على شبكة الإنترنت) حسب قوله:

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((إن البوم كان ما قبل واقعة عاشوراء يأنس بالناس ويألفهم، ولما رأى كان ذلك الظلم الذي وقع بالإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بكى حتى غاب عن الوعي، وقال: لا أعيش بهذا اليوم في المدن لأن البشر الذين عملوا هكذا مع

ابن نبيهم كيف سيتصرفون معي: وإتخذ الخراب مسكناً فهو يصوم في النهار، ويبكي على الحسين عليه الصلاة والسلام ليلاً... وكان مصدره كتاب خزانة الأسرار.

ويردف قائلاً: قيل عن البوم أنه شهد يوم الغدير.

وفي موقع منتديات يا حسين على شبكة الإنترنت أيضاً تحت عنوان البومة تبكي الحسين عليه السلام عن حسين بن علي بن صاعد البربري وكان عند الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: ما يقول الناس؟ قال: جعلت فداك جئنا نسألك؟ فقال: ترى هذه البومة كانت على عهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله تأوي المنازل والقصور والدور وكان إذا أكل الناس الطعام تطير فتقع أمامهم فيرمى إليها الطعام وتسقى ثم ترجع إلى مكانها، ولما قتل الحسين بن علي عليه السلام خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري وقالت: بئس الأمة أنتم، قتلتم إبن نبيكم ولا أمنكم على نفسي[١٦].

وبعد مراجعة كتب الرجال بان حال البربري الذي يروي عن الرضا عليه السلام[١٧] وأحاديث نوح البوم في كامل الزيارات في الباب الحادي والثلاثون. يذكر منها أربعة أحاديث كلها تصب في نفس المعنى.

ويحق لنا أن نقرأ بعضاً من تأريخ البوم ونطرح بعض التساؤلات!

هل كان البوم حقاً طيراً أليفاً؟

ما موقعه عند الهنود أو اليونان أو الشعوب الأخرى؟

ما موقع البوم عند العرب قبل الإسلام؟

هل كان البوم طير شؤم؟

منذ القدم وما يدهش الكثير أن طائر البوم والغراب ورقم (١٣) هي أمور يتشائم منها الكثير من الناس ويعتبروها من علامات النحس.

ولو سُأل المتشائم لماذا؟ لا يقدر على الإجابة، فهي من الأمور التي مرت عليه وعلى الأجيال التي سبقته دون معرفة الأسباب والحقائق التي وراءها.

وقصة الرقم (١٣) عند الأمريكان معروفة، حيث إرتبط هذا الرقم بالملوك الفضائي

ولم ينج أحد في رحلته لكونه حاملاً لهذا الرقم.

ويروون أن العشاء الأخير للسيد المسيح كان يحمل رقم (١٣) ثلاثة عشر.

أما طائر البوم: فهو من أشهر الطيور التي تدل على الشر والشؤم على الإطلاق.

والسبب يرجع إلى كون البومة منذ القدم تعيش فترات النهار في الاماكن المهجورة ولا يشاهدها الناس إلاّ ليلاً فهي كائن ليلي.

وهناك إعتقاد قديم يرى أن روح الميت تخرج أحياناً على الناس في صورة طائر البوم معلنة بصراخها وحزنها على موته، ودفن جثمانه في القبر. بل تعتقد بعض القبائل الأمريكية أن قتلى الحروب تظهر على شكل طائر البوم ولسكناها الخراب تشأم منها الناس ومن الخراب.

والعرب في الجاهلية كانت تتشائم من البوم. جاء في لسان العرب[١٨]: البوم: ذكر الهام واحدته بومه والجمع أبوام.

وكان العرب تنظر إلى البوم على أنه طائر شؤم تنفر من صوته.

ويعود ذلك إلى صوتها الحزين وظهورها ليلاً لا نهاراً، والليل عندهم رمز الشر وقد أسموها (أم الخراب)[١٩].

وفي تراث العرب مثل مشهور (إلحق البوم يدلك على الخراب) لأن البوم إذا تبعته يرشدك إلى الخراب وهو يطلق لمن يقتدي بالمشؤوم الفاسد الرأي.

وأصل المثل قديم أورده الراغب الأصفهاني في محاضراته في أمثال عامة زمنه برواية: من كان دليله البوم. كان مأواه الخراب.

وفي معناه قول القائل:

ومن يكن الغراب له دليلاً يمر على جيف الكلاب

وكان جواب "الرصد العقائدي" في العتبة الحسينية رداً على سؤال: هل حادثة البوم ومقتل الحسين عليه السلام صحيحة؟ كان الجواب علمياً بحتاً حيث رَدَّ الرواية الواردة عند ابن قولويه في كامل الزيارات.

بأن الحديث المروي عن الرضا عليه السلام حديث ضعيف السند والدلالة. ورد رواته بالضعف والجهالة. مثل (البربري) الذي ذكرناه ورفضت الرواية بالكامل.

فتأريخ البوم لا يخرج عن أنه طائرُ يعيشُ أصلاً في الأماكن المهجورة. رغم أن الطائر قد قيلت فيه الكثير من الأساطير...

ومن أراد مراجعة رجال السند. وهم مسلمة بن الخطاب البراوستاني أبو محمد وعلي بن صاعد فليكتشف حالهم في كتب الرجال[٢٠].

وفي التراث يذكر أن المأمون العباسي أشرف يوماً على قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة يكتب بها على الحائط.

فقال المأمون لبعض خدمه إذهبوا إلى ذلك الرجل وانظروا ما كتب وائتوني به.

فبادر الخدم إلى الرجل وألقوا القبض عليه وقرأوا ما كتب:

يا قصر جُمع فيك الشؤم واللومُ ... متى يعشش في أركانك البومُ

يوماً يعشش فيك البوم من فرحي ... أكون أول من ينعاك مرغوم

ولما مثل بين يديه:

قال له المأمون: ويح ما حملك على هذا؟ فقال الرجل: مررت على هذا القصر وأنا جائع فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم من رخامه وخشبه أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه. فلما سمع المأمون ذلك أمر له بألف دينار يأخذها كل عام ما دام القصر عامراً بأهله[٢١].

وهذا الإمام الشافعي صاحب المذهب عندما كبر سنه وأخذ الشيب يعلو شعره أخذ يخاطب البومة والتي يرى كأنما عششت فوق رأسه لما رأى طلائع الشيب في شعره تظهر. وأن هذا مؤذن بانقضاء العمر وأنشد قائلاً:

أيا بومه قد عششت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها[٢٢]

وقد نهى الإسلام عن التشاؤم والطيرة من الطيور.

أما ما ورد عن حال البوم عند الحضارات الأخرى فقد كان منذ القدم طيراً مقدساً

لدى كل الحضارات السابقة حيث تحولت الآلهة أثينا في روما القديمة بإتخاذ شعار البوم لها.

وأما في معاركهم يوم قهرت جيوش الرومان جيوش الأغريق فقد كان الإعتقاد الطاغي في أوساط الشعب الروماني أن البومة مخلوق شرير ورمزاً للموت.

وكان عندهم إعتقاد أن البوم قادر على التحول إلى مصاص دماء يخيفون الأطفال به، أما في الهند فهو عندهم طائر ليلي حاد البصر، لذا يكون الإعتقاد بأن من أكل بيضة البومة تحسنت لديه الرؤية الليلية.

ويعتبر البوم في كتب العهد القديم مجرماً متلبساً حيث كان ذكره في موقع العداء.

وقد شاعت أحاديث منذ آلاف السنين عن البوم بوصفها روحاً شريرة تحوم بصمت في سماء الليل بحثاً عن ضحايا بشرية، والكل يفهم أن البوم بطبيعة خلقه طائر جارح له مخالب جارحة.

أما في حضارة اليونان فكانت تحوم حوله الأساطير بأنه طائر يتمتع بالحكمة، بعكس الهنود الذين ربطوا صورة البوم مع الحماقة والثروة الضائعة.

المبحث الثاني

تجليات المقدس

لذا لا غرابة أن تنتشر هذه الأفكار بين الشعوب عامة والكل يفهم أن الفقهاء والمحدثين وأضرابهم يقومون باسقاط ضروب التقديس على الموجودات أو الظواهر أو الأشخاص بنسج علاقة روحية مع المقدس هذا المقدس الذي يتمثل كقوة مفارقة أو محايثة تتجاوز ما هو إنساني، داخلة في لعبة الفعل والإنفعال، التشكيل والتشكل، والتأثير والتأثر. دائماً ما شكل هاجساً للإنسان في مكابدته ومقارعته لهذا الحضور اللانهائي، الذي يتخطاه باستمرار مخلفاً أمامه تناهية ومحدوديته وعذاباته. وعموماً أمام كل ما هو ملتصق بالمشروطية البشرية من جهة وأمام رجائه بالخلاص وأمله في كسر دوامة الخوف والرهبة والعذاب من جهة أخرى.

لذا تجلى المقدس في كل المجتمعات أين حلت عبر أشكال متنوعة تتمظهر كمجموعة من القوى الحية الفاعلة والمحتجة وراء الموجودات بأنواعها (من جماد ونبات وحيوان).

وبما أن المرجعية الدينة التي تُؤمن الإطار الأيديولوجي والأرضية النظرية للوعي الديني (من دعاة ومشايخ وفقهاء) تمارس حاكمية على تشكيل الفضاء العمومي للعقل الإسلامي الراهن والمستمد من الأرضية الماضية من خلال السيطرة على الفعل الجمعي بواسطة تراث لم يفهمه رجال الدين إلاّ بأنه تراث متكامل رغم أنهم يدركون بالحقيقة أن هذا التراث أصابه التقديم والتأخير والترهل والحذف والإضافة، والتبديل والتحرير. لذلك بدأوا في الإجتراء والإنحياز إلى معطى دون آخر.

فالمسلم مثلاً يجب أن يتقبل وعيه وعقله أن الأرض إستقرت على قرن ثور وأن حمار النبي تكلم بلسان عربي فصيح وأن الحجر الأسود تكلم هو الآخر بلسان عربي فصيح يوم إحتكم لديه خصمان هما الإمام زين العابدين وعمهُ محمد بن الحنفية وأن الحسن عليه السلام كان يلعب بالكواكب حيث ما تشتهي له نفسه، وأن العصفور إشتكى من الحية عند الإمام الصادق عليه السلام وأن الإمام الصادق كان يقبض الريح بيده ثم يصرفها حيث يشاء. وأن القردة تعلم وتعمل بعقوبة الزنا وتشريعها وتطبيقها على القردة أنفسهم.

وطبعاً كما أن الغاية تبرر الواسطة تكون المفاضلة هي السائدة في بناء الحاجة الراهنة للمؤسسة الدينية، أي أنها توجد ما يناسبها بغية السيطرة على العقل الجمعي.

وعليه فإن أية عملية تنويرية تهدف إلى إعادة إنتاج أو صياغة في تغيير هذا الفضاء تكاد تصطدم بحائط صلب لذا يبقى سلاح الفكر والتنوير سلاحاً مغلولاً لا يجدي نفعاً.

إن المقدس هو القوة الخفية، الطاقة اللا مركزية، الحضور الغائب أو مجموعة من القوى والطاقات التي تكابدها الذات في علاقاتها مع العالم، حيث تقف عاجزة عن إستكناه ماهية وجوهر وحقيقة الأشياء، والكائنات التي تحيط بها.

فالمقدس هو تعويذه ضد الخوف وتميمة يرفعها الإنسان في وجه ما يفلت منه ويحتجب عن ناظريه ويبقى خفياً قصياً ونائياً.

والمقدس لا يمنحنا نفسه إلاّ عبر تجلياته وآثاره الخارجية وفاعليته البرانية، لذا نكون أمام نتائجه ومؤثراته في الأشياء التي يتجلى لنا من خلالها كـ (الصخر، والماء، الشجر، النجوم وغير ذلك).

لذلك نرى العربي قد نظر إلى الأشياء بأنها علامات وإشارات لقوة خفية تمارس تأثيراً كبيراً على حياة البشر ومصيرهم. من هنا نرى العربي المسلم وخاصة الشيعي يصدق أن الصخر والحجر يتكلم بلسان مبين وأن نبات الباذنجان يؤمن بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن النبات المر غير موالٍ له وأن النبات الحلو موالٍ لأمير المؤمنين.

وأن النجوم والكواكب تكاد تكون ألعاباً بيد الإمام الحسن يضرب أحدهما بالآخر.

وفي نواحي اللغة يوجد تعارض بين المقدس والمدنس في كلمة واحدة هي (الحرام) المستخدمة كثيراً في كتاب الله العزيز (٨٠) مرة تارة في الحرام الفعلي ومشتقاته، وتارة بالوصف الإسمي (حرام - حُرُمات) ومرة كصفة، فالمعنى ينطبق على أشياء ممنوعة ومحظورة تتعارض مع ما هو حلال ومباح، ويكون الحرام مطابقاً للمقدس وبعيداً عن المدنس كما هو بطبيعته بقولنا البيت الحرام أي البيت المقدس (الكعبة).

ومن مبدأ الاحيائية[٢٣] توجد شواهد كثيرة على أن مفهوم الاحيائية يؤكد بأن جميع الموجودات تختزن في داخلها قوة خفية روحية.

ورويداً رويداً يبدأ المقدس بالإنحسار التدريجي عند العرب وكمثال على ذلك كانوا ينظرون إلى كل الأشياء بالتقديس أو بعين القداسة.

لذا إنتقلوا من طور إلى آخر، أي من المذهب الحيوي إلى صورة الجن والأرواح التي تسكن الشجر والحجر لا إلى الشجر والحجر نفسه. من هنا ظهر مبدأ الطوطمية عند العرب وعند غيرهم. ولكي يتم فهم الكلام نذكر بعضاً من الروايات التي تم ذكرها آنفاً بتفصيلها لإتمام مصاديق البحث.

- قال أبو جعفر[٢٤] محمد بن جرير الطبري: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد البلوي ثم الأنصاري، قال: قال عمارة بن زيد: سمعت إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق يقول: كان الحسن والحسين يلعبان، فرأيت الحسن وقد صاح بنخلة فأجابته بالتلبية وسعت إليه كما يسعى الولد إلى والده.

هنا يظهر إرتباط النبات بالمقدس.

- قال أبو جعفر[٢٥] مسنداً عن كثير بن مسلمة، قال: رأيت الحسن بن علي في حياة رسول

الله قد أخرج من صخرة عسلاً حاذياً فأتيت رسول الله فأخبرته فقال: أتنكرون لإبني هذا وأنه سيد ابن سيد يصلح الله به بين فئتين ويطيعه أهل السماء في سمائه وأهل الأرض في أرضه.

وهنا يظهر إرتباط الصخر بالمقدس.

بعد قراءة النص ثم البحث عن حال كثير بن سلمة يتوجب أن يكون كثير بن سلمة هذا صحابياً لأنه حسب قوله: رأيت رسول الله. ثم أنه روى في الحديث أن الحسن سيد ابن سيد يصلح الله بن فئتين... وهذا حديث يبحث عنه الجمهور لتعضيد إيمان وإسلام معاوية، فكيف فاتهم هذا الحديث الذي رواه أبي بكرة[٢٦] وبمراجعة كتب الرجال الشيعية والسنية لم نعثر على ترجمة تبين حال كثير بن سلمة هذا.

أما في روايات عرض الولاية على الكائنات غير العاقلة من الحيوانات والجمادات أو الخضار كالباذنجان الذي آمن بالولاية حسب رواية الشيخ، هو أمر مرفوض قطعاً لكون هذه الكائنات غير عاقلة ولا مختارة، فلا معنى لعرض الولاية أو النبوة عليها، علماً بأن النبوة هي سفارة بين الله وبين العقلاء من خلقه، وتحديداً بني البشر، فكيف تعرض على كائنات غير عاقلة؟

علماً أن هذه الكائنات غير مكلفة بالأمر، وبصرف النظر عن ذلك فإن ما جاء لبيان فضل الولاية لا يمكن أن يكون بهذا الأسلوب بلحاظ أن الهدف من بيان فضل الولي ومكانة الولاية يهدف إلى تعزيز إرتباط الناس بالولي وإقامة الحجة عليهم، وإقناعهم بمشروعيته وإلزام الناس في بيان فضله ولا إلزام على الجماد والنبات.

فالجمادات والنباتات تقع خارج دائرة الخطاب والتكليف الإلهي. لأن النباتات والجمادات لاتعرف حالة التمرد فلو كانت عارفة له لكان وجود محاسبتها ثواباً وعقاباً فتصنيف الحيوانات والنباتات على وجه المؤمنة والكافرة لا يوجب إلاّ في حال المخلوقات العاقلة التي خاطبها تعالى بقوله.. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَا تَفْقَهُونَ﴾... والدليل كما هو مؤكد يقوم على أصحاب العقول وهم البشر قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٢٧] فقول المجلسي حول الوحوش والحيوانات وأنها مكلفة ولها مستوى من الإدراك الضعيف حسب ما فسر به كلام الله تعالى ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٢٨].

فلا يدل على أن للحيوانات عقلاً أو أنها من أهل التكليف، ولم تصرح الآية أن هدف الحشر هو الإقتصاص منها، فإن كان ذلك لكان لزوم العقل لديها.

وفي تفسير الميزان قال العلامة الطباطبائي: وظاهر الآية من حيث وقوعها في سياق الآيات الواضحة ليوم القيامة أن الوحوش محشورة كالإنسان. بدليل الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٢٩].

وأما تفصيل حالها بعد الحشر وما يؤول إليه أمرها فلم يرد فيه كلامه تعالى ولا فيما يعتمد عليه من الأخبار ما يكشف ذلك[٣٠].

وولاية الباذنجان وردت في كتاب الطبرسي (مكارم الأخلاق) وكذلك عن شهرآشوب ولا يمكن الاحتجاج به رغم تسربه إلى كتاب البحار لكون راوي الرواية من رواة الجمهور وعن كتاب الفردوس للديلمي حصراً.

وظاهرة تسرب الأخبار الموضوعة إلى الفضاء الشيعي ملفتة للنظر فالجمهور (السني) يعتبر حديث الباذنجان عندهم من الموضوعات وظاهرة تسرب الأخبار الموضوعة ظاهرة خطيرة يتم بيانها في حينه.

- روى البخاري: حدثنا نعيم بن حماد. حدثنا هشيم، عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قِرْدَةً قد زنت، إجتمع عليها قِرِدَةٌ، فرجموها، فرجمتها معهم)[٣١].

والغرابة بالأمر أن ابن ميمون رجمها معهم. ونحن لكي لانتهم بالطعن بكتاب البخاري ولكن لنا الحق أن نسأل: هل القردة كان لهم نبي (قردي) علّمهم الرجم، هل القردة لديهم رسالة تفهموا من خلالها حالة الرجم أو من خلال رسلهم مثلاً، لأن الكلام والحديث كان في زمن الجاهلية؟!

ومن الغباء أن نفكر أن حالة الرجم المذكورة يمكن دخولها إلى الإسلام من خلال حادثة رجم القردة والعياذ بالله وناقل الكفر ليس بكافر..

أما رواية كون الأرض على قرن ثور أملس فقد وردت عن الشيخ الكليني في كتاب الكافي في الروضة)[٣٢].

مسنداً.. عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الأرض على أي شيء هي؟ قال: على حوت! قلت فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء. قلت: فالماء على أي شيء هو؟ قال: على صخرة. قلت: على أي شيء الصخرة؟ قال على قرن ثور أملس! قلت فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى! قلت: فعلى أي شيء الثرى؟ فقال: هيهات، عند ذلك ضل علم السماء.

وهذه خرافة لا تحتاج إلى بيان وإلى تأويل.

روى الشيخ الكليني[٣٣] مسنداً عن كرام عن عبد الله بن طلحة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ فقال: رجس وهو مسخ كله؟ فإذا قتلته فاغتسل. فقال: إن أبي كان قاعداً في الحجرة ومعه رجل يحدثه فإذا هو بوزغ يولول بلسانه فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ قال: لا. علمني بما يقول؟ قال: فإنه يقول لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمن علياً حتى يقوم هيهنا! قال: وقال أبي: لن يموت من بني أمية ميت إلاّ مسخ وزغاً...

العجيب بالأمر كيف فهم الوزغ (أبو بريص) الكلام وحدد الإمام وضيفه بأنه إذا تكلم أو شُتم عثمان سوف يشتم علياً. هنا يتضح أن سحلية الوزغ ناصبية تناصب علياً وآل بيته، فما حكاية الوزغ عند العامة وعند الشيعة.

يلعب الوزغ (أبو بريص) دوراً كبيراً في حياة كثير من الشعوب البدائية فيعتبره البعض إلهاً والآخر شيطاناً والبعض الثالث يرى فيه بشيراً يحمل أخبار سارة.

في المسيحية، السحلية هي رمز الشر وعند السومريين نذير شؤم.

ومن الطرائف ونحن صغار عندما كنا نقتل (أبو بريص) إذا كان في الحمام ضناً منا أنه ينظر إلى جسد المرأة وهي تغتسل. فهو يعتبر جاسوساً خطيراً. وقتل أبي بريص من المستحبات كما ورد عند عموم المسلمين.

ورد عند العلماء المعاصرين إستحباب الغسل بعد قتله[٣٤].

هذه التفسيرات تحتاج إلى بيان بحد ذاتها، فهي لا تقدم تفسيراً بذاتها عند العقلاء وعند علماء الإجتماع. فهل النفور من شكله المقزز أدى إلى إختراع كل هذه الضجة صوب الوزغ، علماً أن العنكبوت يحظى بالتقدير والعرفان عند المسلمين لكونه قد حمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والذباب فيه حكاية أيضاً أما البعوض فإن دمه غير نجس فهل حكاية الوزغ القديمة التي وقعت زمن النبي إبراهيم هي التي دعت الناس بأن تكره وتعادي هذا المخلوق، فإنه متهم بأنه قد شارك في النفخ على نار إبراهيم. ولا غرابة أن تدخل هذه الأساطير والخرافات من الكتب السنية إلى الكتب الشيعية.

روى البخاري[٣٥] عن عائشة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال للوزغ: فويسق ولم أسمعه أمر بقتله.

روى مسلم عن سعد بن أبي أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً.

روى البخاري أيضاً عن أم شريك: أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام [٣٦].

وجاء الخبر في أجر قتل هذا الفويسق ما رواه مسلم: (عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الأولى ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة له دون الثانية.

وانقسم العلماء بين إباحة القتل وعدم قتله. ومن المعاصرين الذين ردوا الحديث إستهزأ به المفكر عمر عبد الكافي واعتبر هذه الرواية خرافية وكان الرد عليه صاعقاً من قبل أعلام الوهابية الذين آمنوا بكل ما جاء في البخاري ولا إستغرب في الرد على المفكرين الشيعة الذين لم يرفضوا هذه الأحاديث الخرافية. فما دام الوزغ خبيثاً عند السنة لأنه نفح على نار إبراهيم، فيجب أن يكون خبيثاً عند الشيعة لأنه ناصبي يشتم علياً.

فقتل الوزغ عند فقهاء الشيعة أحوط وجوباً كما هي المشهور بالإستحباب عند الشيخ الصدوق، لأن الوزغ مسخ من بني أمية.

يروي الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: كان لا يولد لأحد مولود إلاّ أتى به النبي ﷺ فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون.

وكان مروان يفشي سر رسول الله كما ورد في تهذيب الأسماء للنويري. فطردهُ إلى الطائف[٣٧].

وهذا القول من أحاديث الذم، لأن مروان وأباه الحَكم كانت صفتهما الغدر، لذا كان خطاب أمير المؤمنين له لما أراد مبايعته: لا أصافح يداً يهودية. أو قوله: أنها كف يهودية...

وعبارة (الوزغ بن الوزغ) رواها الحاكم[٣٨] ورواها ابن أبي الحديد أيضاً بنفس المعنى[٣٩]. ومروان بن الحكم أحد رواة الشيخ البخاري ورابع خلفاء بني أمية.

هذا ما كان في تأريخ مروان وأبيه حيث استهوت مسألة الذم لتكون كما هو متعارف في علم الإجتماع كما بيناه في تجلي المقدس عند المجتمعات أينما حلت تمر بأشكال متنوعة تتمظهر كمجموعة من القوى الحية الفاعلة والمحتجبة وراء الموجودات بأنواعها (من جماد ونبات وحيوان وطير) ودور القيادات الدينية أينما وجدت هو أن تؤمن هذا الإطار الأيديولوجي والأرضية الخصبة لتقبل هذه الحكايات رغم أن تخاريف الشيوخ يرفضها عقل المعصوم ويرد عليها من خلال الكتاب والسنة الصحيحة، لأن كتاب الله جاء مخاطباً ذوي العقول فقط. فلا غرو أن تكون العصافير سنية والقنابر شيعية أو تقسم العصافير إلى شيعية رافضية وسنية ناصبية ما دام الشيوخ يريدون ذلك.

كما ورد في الحديث المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام الذي كان يتحدث مع أصحابه إذ نزلت عصافير على مقربة منه فناولها الإمام بعض الحب وفتات الخبز، وبعد هنيهة حطت عصافير أخرى في ذلك المكان، فما كان من الإمام إلاّ أن إنتهرها وزجرها فطارت، ولما سُئل عن سبب ذلك قال: بأن العصافير الأولى كانت موالية لنا والطائفة الثانية كانت موالية لغيرنا[٤٠].

ولا بأس فعندما تكلم (البرص) تكلم الحمار وورد في تركة سلاح النبي صلى الله عليه وآله عند الكافي أن حمارة يعفور تكلم بلسان عربي مبين والرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن ذلك الحمار كلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي إن أبي حدثني عن أبيه عن جده أن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة فقام إليه نوح فمسح على كتفه ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار[٤١].

للأسف الشديد تروى هذه الرواية عن علي بن أبي طالب يعسوب الدين الذي غرس فيه الإيمان والذي ولد على الفطرة والذي لم يسجد لصنم قط، وكيف وعلي هو القائل: أعوذ بالله من سبات العقل. هل يعقل أن يكون سند الحديث حمار عن حمار إلى منتهاه.

لعن الله من نسب هذه الخرافة العجيبة إلى أمير المؤمنين، والعجب العجاب كيف صدق الكليني هذه الرواية وكيف أوردها في كتابه؟

لنعرج صوب الروايات السنية في باب الحمار كما ورد أن يعفور إسم لا يعرفه كثير من الناس، وقد عرف بأنه اسم لحمار من دواب النبي ﷺ التي يركبها، كما ذكر ذلك ابن قيم الجوزية في كتاب زاد المعاد(٤٢).

وأن هذا الحمار توفي ساعة قبض رسول الله، ويقال أنه رمى نفسه في البئر(٤٣).

ونص الحديث عند أهل السنة: عن أبي منظور: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر أصابه من سهمه أربعة أزواج بغال، وأربعة أزواج خفاف وعشر أواقٍ ذهب وفضة وحمار أسود قال: فكلم النبي ﷺ الحمار فقال له: ما أسمك؟ قال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلاّ نبي ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت أتوقعك أن تركبني وكنت قبلك لرجل من اليهود... فقال النبي ﷺ له: لقد سميتك يعفوراً، يا يعفور قال: لبيك. قال: أتشتهي الإناث؟ قال: لا. وكان النبي ﷺ يركبه في حاجته...(٤٤).

وقد أورد الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة بسند آخر والحديث يختلف، وأن لديه سبعة أخوة، فيه إسم الحمار(٤٥).

وبعد أن ورد إسم يعفور وحال يعفور وكيف أنه القى بنفسه في بئر بعد وفاة النبي.

سيأتي دور شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور علي جمعة لينكر ذلك الحديث، رغم أن ما أوردناه من الكتب السنية التي ذكرت حال يعفور.

وأورده ابن عساكر في تاريخه أيضاً في فتح خيبر، وقد سأله النبي عن إسمه فأجاب(٤٦).
هكذا تسربت الروايات السنية إلى الروايات الشيعية وبالعكس، والكل معجب بها، ثم يأتي القذف من الجانبين بأن هذا الحديث وغيره خرافة، ويتهم أحدهما الآخر بالوضع والتشنيع ونحن بدورنا نقول: لسنا من دعاة تجريد وتجريح كتب التراث من عدد كذا وكذا من الروايات، ولكننا ندعوا للكف عن تقديس الحجر والبشر والورق وندعوا إلى إطلاق حرية الإجتهاد والكف عن إطلاق الوعيد، والدعوة إلى وقفة صادقة عاجلة لتلافي وطرح هكذا

روايات تخدش شخص النبي والأئمة والصحابة على حد سواء، وندعوا إلى أن الأوان قد آن ليخرج أصحاب العقول المغلقة من هذه الحفر والمطبات التي إستقروا فيها.

ومـــن يتـــهيب صـــعود الجبـــال يعـــش أبـــد الـــدهر بـــين الحفـــر

المبحث الثالث

موقف الإسلام في مواجهة الأسطورة والخرافة

يعتبر الإسلام الأصيل الخرافة حسب العرف اللغوي هو كلام عبثي مرتبك، لكنه مستحسن، أو هي العادة والعقيدة، أو هي العادة والعقيدة الخارجة عن الأسس العقلية والمتنافرة مع واقع تعاليم الشرع والعرف.

والأساس الذي تتبناه الخرافة وإنتهاجها فهو عبارة عن السطحية ورفض الرمزية والتهرب من مجريات الواقع.

وتشكل السطحية ولاسميا على صعيد الدين عائقاً أمام إدراك المعارف الدينية والحقائق الإلهية ومرتعاً لتنامي الإنحراف الفكري وظهور البدع. والسطحية تستمد جذورها من السذاجة وعدم النضج في الأذهان التي تسعى دائماً إلى تحجيم المعارف وحقائق الوجود.

ويتخذ التهرب من المسار الطبيعي طريقاً آخر في إنتشار الخرافة عبر رفض قانون العلية العام أو تجاهله أو صنع الإستثناءات أو ينطلق في التمني الزائد والأماني الخيالية.

فظهور المعاجز على يد الأنبياء مثلاً هي التي فعلت ذلك قصداً أو غير قصد ضد تيار المواجهة.

أما في زمن الرسول الأعظم فنراه يتخذ موقفاً آخر يحرص فيه كثيراً على تغيير مسار المجتمع من تقصي القضايا الخارقة والعجيبة إلى تحكيم العقل والمنطق والإدراك وسَوق المجتمع من الغرائب إلى الواقعية والحقائق.

هذا الأمر بالذات كان يحمل في طياته صدق نبوته والتي أرغمت القلوب على تقديسه، والسير على نهجه، والعقول على تعظيمه وتكريمه، فلم يكن موقف الرسول إعتباطياً حين رفض الإستجابة لإصرار المتكبرين والمعاندين، المطالبين بالمعجزة الخارقة إثباتاً لنبوته. لذا

بقي موقفه صامداً بإعتماده على الإستدلال العقلي والتجريبي، فلم تكن له معجزة غير القرآن الكريم التي لم يكن لها مثيل أبداً.

ونحن بدورنا لم نؤمن بمعجزات الأنبياء الذين سبقوه لأنها حدثت بزمن غير زماننا ولكننا آمنا بها بإيماننا بالقرآن الذي ذكرها بنزوله على صدر النبي محمد ﷺ.

فالقرآن من حيث المبدأ حارب الأوهام والخرافات ولم يقبلها أن تكون من منجزات الرسول الأكرم ومفاخره وحثه على الإلتزام بواجبه إزاء تطهير القلوب من الشوائب وتحريرها من القيود والأغلال.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٤٧).

كانت سمة الرسول ﷺ البارزة تتلخص في أنه لم يتعد بنفسه لمحاربة الخرافات المضرة بالفرد والمجتمع فحسب، بل كان يحارب الأفكار والعقائد المنحرفة.

حتى ولو كانت تلتقي مع المفاهيم الدينية، لذا نراه بقدر ما كانت هذه الواقعة تسند وتقوي حجته في النبوة، لكنه يرفض ذلك فلو كانت عند غيره لإستفاد منها كثيراً ولكنه ﷺ يكذب الخبر ويكذب الواقعة.

روى صاحب المحاسن بإسناد عن الكاظم عليه السلام أنه قال: لما قبض إبراهيم بن رسول الله ﷺ إنكسفت الشمس فقال الناس: إنما إنكسفت الشمس لموت إبراهيم، فصعد رسول الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن كسوف الشمس والقمر آيات من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته(٤٨).

هذا الخبر لو أراده الرسول ﷺ لعضد به إيمان الناس برسالته أكثر من ذي قبل، لكنه لم يرغب بتوظيف الخرافات في عقول الناس.

أما دور الأئمة المعصومين بالتحذير من الخرافات فنرى ذلك في المناجاة المأثورة عنهم: ((اللّهُمَّ أرني الأشياء كما هي)).

وفي قول الصادق عليه السلام اللّهُمَّ أرني الحق حقاً حتى أتبعه وأرني الباطل باطلاً حتى أجتنبه ولا تجعلهما عليّ متشابهين فأتبع هواي بغير هدى منك(٤٩).

هكذا هو كلام أولاد الأنبياء عليهم صلوات الله، يرسمون للناس خطاً واضحاً في التعامل مع الواقع، لا خطاً متعرجاً مشوشاً كما عند الناس الذين يعتقدون بقضاء حاجاتهم بالتوسل ببعض الأشجار التي يعقدون عليها خيوطاً، وينذرون النذور إليها، بسلوكيات تجعل الشباب ينفر من المذهب، ومن الدين، فنظرتهم النقية تجعلهم يرفضون مذهباً تنسب إليه الحماقات والخرافات على أنها جزء منه. والدين براء من الأوهام والخرافات كإعلان أمر الله بالبراءة من المشركين وما يعبدون.

نتيجة البحث:

- لا تعد الاساطير والخرافات عبارات منكرة لأنها مثلت منذ القدم كنزاً من كنوز الإنسانية لكونها مثلت شكلاً من أشكال التعبير ولد من خلال الفكر والخيال والوجدان.
- اتضح ان جميع المدارس بقديمها وحديثها تجمع على أهمية الأساطير والخرافات فالإنسان يبحث دائماً عن الرموز والخيال والظواهر بشتى أنواعها.
- اعتبر الإسلام الأصيل الخرافة عبث مرتبك ولكنه مستحسن رغم أنها خارجة عن الأسس العقلية وتنافرها مع واقع تعاليم الشرع والعرف.
- كان دور الرسول ﷺ والأئمة الأطهار منافي ومانع للأسطورة والخرافة من الانتشار كما ثبت في مضاني البحث.

هوامش البحث

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٥.
(٣) سورة القلم، الآية ١.
(٤) ابن منظور: لسان العرب: مادة سطر.
(٥) سورة المائدة، الآية ٢٧.

(٦) سورة الشعراء، الآية ٦٩.
(٧) ابن منظور: لسان العرب: مادة خرف.
(٨) عجينة: أساطير العرب، ص١٩.
(٩) لسان العرب: مادة خرف؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢٥/٢.
(١٠) منتهى الارب، ٣١١/١.
(١١) الميزان في تفسير القرآن، ٤٢٢/١.
(١٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٥١٥.
(١٣) الجاحظ: الحيوان، ج٩٢/١.
(١٤) عجينة: أساطير العرب، ص١٩٧.
(١٥) الجاحظ: الحيوان، ٣٠٢/١.
(١٦) ابن قولويه: كامل الزيارات، ص٩٩.
(١٧) محمد الجواهري: المفيد من معجم رجال الحديث، ص٣٩٩.
(١٨) ابن منظور: لسان العرب، مادة بوم.
(١٩) جواد علي، المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ج٣٢٩/٥.
(٢٠) رجال النجاشي، ج١، ص١٣٢.
(٢١) محمد بن علي الحسني: مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ص٨١.
(٢٢) ديوان الشافعي، ص١٦.
(٢٣) الاحيائية: هي مذهب حيوية الطبيعة بأن العالم يعمره عدد غفير من الكائنات الروحية غير المركبة. ينظر: فرويد: الطواطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط٢، ١٩٩٧، ص١٠١.
(٢٤) بن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ص٦٣.
(٢٥) المصدر نفسه، ص٦٣.
(٢٦) راجع كتابنا الحسن يحاكم التأريخ في الرد على حديث أن ولدي هذا... ص١٧٣ - ١٩٨.
(٢٧) سورة الفرقان، الآية ٤٤.
(٢٨) سورة التكوير، الآية ٥.
(٢٩) سورة الأنعام، الآية ٣٨.
(٣٠) تفسير الميزان، ج٢، ص٢١٤.
(٣١) البخاري: ح٣٨٤٩.
(٣٢) الكليني: فروع الكافي (الروضة) ح١٢٠٢٣، حديث الحوت على أي شيء هو ص٦٣٩.
(٣٣) الكافي: شرح أصول الكافي، ج١٢/ ٣١٤، حديث ٣٠٥.
(٣٤) ينظر: الحكيم: منهاج الصالحين، ج١١٦/١.

(٣٥) البخاري: حديث ١٨٣١.
(٣٦) البخاري: حديث ٣٣٥٩.
(٣٧) النويري: تهذيب الأسماء، ج٢/٨٧.
(٣٨) الحاكم: المستدرك، ٤/٤٧٩.
(٣٩) ابن أبي الحديد: شرح النهج، ١/١٥٦٣.
(٤٠) أحمد القبانجي: تهذيب أحاديث الشيعة، ص٥٢.
(٤١) أصول الكافي، ج١/٢٨٧.
(٤٢) زاد المعاد، ج١/١٠٣ - ١٣٥.
(٤٣) الكافي، ١/١٨٤.
(٤٤) راجع ابن كثير في البداية والنهاية، ٦/١٥٨، بوب له: حديث الحمار وقال وقد أنكره غير واحد من الحفاظ الكبار،
(٤٥) أبو نعيم: دلائل النبوة، ح ٢٨٨، ج٢/٣٨٦.
(٤٦) ابن عساكر: تأريخ مدينة دمشق، ٤/٢٣٢.
(٤٧) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
(٤٨) البرقي: المحاسن، ص٣١٣.
(٤٩) بحار الأنوار، ٨٦/١٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- الاصفهاني، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ)، تح: محمد رواس، منشورات: دار النفائس، بيروت - ١٩٨٦م.

٢- البحراني، ابن محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (ت١٤٢٣هـ).

٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

٤- البرقي، أبي جعفر احمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ)، المحاسن، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ٢٠٠١م.

٥- الجاحظ: عمر بن بحر أبو عثمان (ت٢٥٥هـ)، الناشر، دار الكتب العلمية، ط.٢، ١٤٣٤هـ.

٦- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار احياء التراث العربي (د.ت).

٧- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، منشورات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م.

٨- ابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

٩- الحسيني، حمد بن علي، دراسة نقدية تحليلية، بحث منشور (٢٠١٤هـ)، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المجلة العربية السعودية.

١٠- الحكيم، محمد سعيد الحكيم، منهاج الصالحين، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٤م).

١١- الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ)، ديوان الإمام الشافعي، تح: محمد بن عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الازهرية - القاهرة.

١٢- صفي عبد الرحيم عبد الكريم، منتهى الارب في لغة العرب.

١٣- الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ت).

١٤- الطبري: محمد بن جرير، رستم الطبري (القرآن) منشورات، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩هـ.

١٥- القبانجي، احمد حسن، تهذيب أحاديث الشيعة، دار الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٢٠م.

١٦- ابن قتيبة: الشعر والشعراء (أبو محمد عبد الله بن مسلم، تح: احمد محمد شاكر)، دار الحارث، القاهرة (ت٢٠٠٧هـ).

١٧- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٥م.

١٨- ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد الكفعمي (ت٣٨٦هـ)، كامل الزيارات، دار السرور، بيروت - لبنان (د.ت).

١٩- عجينة، محمد، موسوعة اساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، منشورات دار الفارابي (د.ت).

٢٠- ابن عساكر، أبو القاسم، علي بن الحسن الشافعي (ت٥٧١هـ)، منشورات: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.

٢١- المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، منشورات: وزارة الارشاد الإسلامي، ٢٠١٩م.

٢٢- محمد الجواهري، محمد حسين محمد تقي الجواهري (المقيد من معجم رجال الحديث)، منشورات مؤسسة التاريخ الإسلامي، الطبع ١٤٢٤هـ.

٢٣- ملحم، حسن طاهر، الإمام الحسن يحاكم التاريخ، منشورات، دار العارف، لبنان - بيروت، ٢٠٢٢م.

٢٤- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار المعارف، مصر (د.ت).

٢٥- ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، منشورات بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م.

٢٦- الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٧- النجاشي، احمد بن علي (ت٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، تح: محمد دواد النائيني، دار الأضواء، بيروت (د.ت)

٢٨- النووي، أبو زكريا محي الدين النووي، تهذيب الأسماء واللغات، منشورات إدارة الطباعة المنيرية، ١٩٢٧م.

٢٩- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوي، مكتبة الصفا، تح: وليد محمد بن سلامة وآخرون (د.ت).

شبكة الانترنت:-

- موقع منتدى الكفيل مع شبكة الانترنت، موضوع اليوم وبكائه على الحسين عليه السلام.